لغز

إزميل سانتا كلوز

محمد رمضان

تفكير
للنشر الرقمي

العمل: لغز إزميل قضية سانتا كلوز.
المؤلف: مُحمد رمضان.
التصنيف: أدب بوليسي.
الناشر: تفكير للنشر الرقمي.
سنة النشر: يناير 2024.
المقاس: 13.97/ 21.59.
عدد الصفحات: 30

حقوق النشر محفوظة ©

إزميل

سانتا كلوز

رواية

محمد رمضان

الفهرس

الفصل الأول: قرية جربوعة..... 5

الفصل الثاني: المُحقق هانيبال..... 9

الفصل الثالث: إزميل في رأس رافكينافت..... 14

الفصل الرابع: الجواب الأخير..... 24

القاتل هو شخص توفر لديهِ، المكان المُناسب، والزمان المُناسب، وأيضًا الدافع، فالمُجرم لا يُجرم في حقِ أحد بلا دافع..

في حالة الجمع بين تلك العناصر الثلاثة، المكان والزمان والدافع، يُولد لنا مجرم، والعنصر الحاسم في ذلك الأمر هو العنصر الرابع والأساسي، وهو الضحية.

– هانيبال سبينوزا.

قرية جربوعة

في الثامنة مساءً، وكعادتي مُنذ الصغر، أجلس مع جدي وجدتي، وأمي أيضًا الذي لا يخلوا جمعُنا من وجودها، في تلك الغرفة الضيقة التي أشعر بالدفء بها دون عن غيرها، أجلس على الحصيرة الحمراء المنسُوجة من سيقان البردي، أمام جدي، وتجاوره أمي وجدتي.. مرَّ على وجودي في هذهِ الحياة خمسة وعشرون عامًا، بهما أخذت من الدنيا ما أخذتُ، درست وتخرجت وأصبحت من مُجرد طالب مُراهق لا يعرف الحياة، إلى عاطل يعرف كُل شيء، ذلك اللقب كان من أكثر الأشياء التي أكرهُها بعد اسم قريتنا.

- بقيت على حالك إذن يا «عصام» تستيقظ في الظهيرة لتأكل من ثم تتواصل مع ثلاثي الحثالة، متى ستعقل أخبرني، جميع من حولك تغيروا وأنتَ كما كُنت دائمًا، بائس.

- يا جدي.. كم من مرةٍ أخبرتك أن هذهِ القرية لا عمل بها يليق بي! لا عمل، ولا صنعة جيدة تليق بي، ولن أعمل إلا برضاكم، وأنتم غير راضيين عن رحيلي من هذهِ القرية و أن أعمل خارجًا، كيف لي أن أعمل في القرية ونهارها يُشبه ليلها، في الصيف من ضيقها تظهر روائح جيراننا، والشتاء من طينها لا نستطيع أن نسير بها!

وكما يفعل كل مرة بعد تذمري المُعتاد، سحب جدي «عبد الرحيم» عكازه الخشبي الذي أتوهم بأن وزنهُ أطنانًا ، وهوى بهِ على كتفي، مُتبعًا ذلك بصوتهِ الجهوري قائلًا:

- أين تذهب؟ لن ترحل من هُنا، وما الذي لا يُعجبك في القرية، إنها مسقط رأسك ولا تنسى ذلك.. أنت يا عصام ابن جربوعة، بها أتيت، ومنها ترحل.

- جدي، كم مرة عليَّ أخبارك أن لا تجمع بين اسمينا في جملة واحدة مفيدة أو غير مفيدة، بحق الله يا جدي، ألا تتذكر!

ضحك جدي على ما أقول، ونظر إلى أمي قائلًا:

- وكم مرة عليّ أخبارك إني لا أقصد أمك وأقصد فخر القرية.

- آه، أي فخر؟ إنَّهُ موضوعًا مُزعجًا آخر فقط.

التقط جدي كوب الشاي المخلوط باللبن والذي يُحب دائمًا أن يشربه من يد جدتي، وجهز نفسهُ للتحدث عن فخره كالمُعتاد..

- عندما أتى الفرنسيُّون إلى مصر، فرقوا نفسهم في بقاعِ أراضيها، وقد وقع نظرهم وقتها على محافظة "البحيرة" وكانت البحيرة وقتها، بها كل ما يريدون، زرع، وخضار، وفاكهة، وقطن، وقمح، كل شيءٍ كان لدينا هُنا، وفي أثناء احتلال الجنود الفرنسيين للبحيرة، لم يكُن هناك من يقدر على مواجهتم وردعهم سوى عائلتين، عائلة عصمت «الوكيل» وعائلة صبحي «جربوعة» كانوا في النهار يخطفونهم وفي الليلِ يقتلونهم، وأستمر الحال على هذا إلى أن سقطت عائلة الوكيل على يد الفرنسيين الأوغاد.. ومن هنا أعلنت عائلة جربوعة الحرب الناهية للفرنسيين وهجمت عليهم على حين غرة، وطردوهم من البحيرة كُلها، وذهب آخر جندي منهم وهو يقول «لا نقوى على الوقوف أمام أهل جربوعة».

بعدما أنتهى جدي من سرد هذهِ البطولة التاريخية الزائفة، ضحكت بيأس على كلامهِ، وبعدما رواغت عكازه للمرة الثانية وقتها، رددتُ عليهِ قائلًا:

- أتعرف في كُتب الفرنسيين عِندما قرأتُ تاريخهم في مصر، في كُتبٍ لمؤرخين حضروا الحملة، أتعرف ماذا وجدت؟

- لا أعرف، ولكن بالتأكيد غيروا الحقيقة.

- لا، كل ما في الأمر أنَّه وعند مُغادرة الفرنسيين وتملك اليأس منهم في اخضاع أهل هذهِ القرية، وأخذ محاصيل منهما، غادروا هاتفين "بلد جربُوعة" ويقصدون بها توبيخنا بلهجتنا حيث أنَّ جربوع كلمة لوصف الاشخاص القذرين أصحاب المظاهر النتنة.

وهُنا رمى جدي كوب الشاي الخاص بهِ جانبًا ووقف بقوة شاب يافع، في عشريناتِ عمرهِ قائلًا:

- أتقول أنّه لم يكن هناك وجود لعائلة صبحي جربوعة ولم تحدث حروب بين الفرنسيين وبينهم؟

عندما وقف جدي علمت أنَّه لا مفر لي إن بقيت، فسبقتهُ مُتحركًا نحو باب الغرفة، ولم التفت ورائي حتى وصلت إلى الشارع، فوقفت في الشارع، أمام البيت، لا أحد.. لا أثر لمخلوق حي هُنا، الشوارع رغم ضيقها وصغرها، تجدها كالقبور لا ضوء يُنير أي شارع.. فأضطر غالبًا إلى استعمال ضوء هاتفي.

وعندما أخرجت هاتفي لأنير بهِ الطريق، وجدت ثلاث مُكالمات فائتة، وأسفلهم رسالة غير مقروءة من طارق ومهاب ، أو كما يُطلق علينا جدي "ثلاثي الحُثالة" وكانت كالآتي:

"عصام، أين أنتَ؟ هل جدك أصبح ممن يحتفلون برأس السنة! عندما تقرأ هذهِ الرسالة، أتصل بي.. أو تعال لنا.. لن نخرج من القرية اليوم، نحنُ ننتظرك في مقهى العم جميل، الموضوع هام.. هناك جريمة"

--*

المُحقق هانيبال

سرتُ على ضوء الهاتف كما قررت مُسبقًا.. الأمر لم يكُن الأمر صعبًا فالقرية صغيرة على كُل حال، وطوال الطريق، أفكر أي جريمة يقصدها، هل هُم بخير؟

لا أعلم لِما يعتريني هذا التوتر ولكن قررتُ أن أواصل السير لربع ساعة فقط وسأعرف وكفى تفكير في الأمر.

فوصلت إلى الشارع الخلفي المُلطخ بالطينِ بسبب هطول الأمطار، وبصعوبة مررتُ فوق حجارة وضعها أحدهم على ما أعتقد ليمرَّ مثل ما أريد المرور حاليًا.

دخلت إلى مقهى القرية الخالية من البشر ومن كل شيءٍ، أكواب قديمة، مقاعد مُتهالكة وكأنها بقايا من العصر البرونزي كصاحبها بالطبع، العم جميل، والذي أُجزم أنَّه مؤسس العصر البرونزي نفسه وليس منهُ فقط.

وجدتهم هناك أخيرًا، طارق ومُهاب، بنفس وضع جلوسهم البائس المُعتاد، طارق يجلس على مقعدٍ وقدميه مُمدة على مقعدٍ آخر أمامهُ، أما عن مُهاب فهو الأكثر بؤسًا بيننا، رغم أنَّه أفضلنا شكلًا ومالًا، ولا يمتلك ندبة تُزين نصف وجههُ أو فاهِ عريض وقبيح وجمجمة صغيرةٍ وغصون وجهٍ كطارق، ويمتلك شعر غزير في فروة رأسه يتأرجح يمينًا ويسارًا، على عكسي أصلع، ومع ذلك يضع يدهُ أمامهُ بعد ضمهم، من ثم يُسقط رأسه بين يديهِ نائمًا.

- مرحبًا برفقاء الدرب التعيس.. ها أنا قد جئت بشحمي ولحمي، ما الأمر ؟ وأي جريمة أخبرني بها طارق، كان يمزح كعادته صحيح؟

نهض مُهاب قائلًا: وأخيرًا، قد أتى عصام، لِما لا ترد على هاتفك أيها الوغد؟ أتظن نفسك صبحي جربوعة؟

يعلم مُهاب خير العلم بقصة القرية من جدي عبد الرحيم ويخبرني بها دائمًا مُتلذذًا بأستفزازي وإثارة غضبي.

- أُقسم بالله، إن وجدت هذا الرجل لأجعله يرى جهنم على الأرض، هل أنتهت كُل اسماء الأرض ولم يبقى إلا هذا!

وهنا تدخل طارق قائلًا: حسنًا، نعتذر يا أُستاذ عصام، هل تتكرم وتجلس الآن لنتحدث؟ الأمر خطير ولم يعرف بهِ أحدًا بعد من أهل القرية، ولم يخبر أحد الشرطة

- أهل القرية وشرطة؟ ظننت أن الأمر حقًا مُجرد مزحةٍ منك، ما الآمر؟

- قبل ثلاث ساعات من الآن، وبعد أن عدت من العمل إلى المنزل، وطلبت من رغد الغداء، نظفت جسدي وملابسي من بقايا الخشب، غادرت المنزل وهيئت نفسي بالذهاب إلى مُهاب، كان ذلك في السادسةِ مساءً.

وعندما كُنت مارًا بشارع خليج الرمل، كان شُبَّاك منزل الحاج صالح، مفتوحًا على مصرعيهِ، نظرتُ بداخله، وجدت رجلًا يرتدي معطف أبيض، والذي كان مُلطخًا بالدماءِ كالأرض تمامًا، كان هُناك إزميلًا مُستقرًا بنصف رأسه، مُخترقًا لجمجمته.

لم أعرف من الرجل، ولكنه ليس من هذهِ القرية قطعًا، رأيته يجلس على مقعدهِ بشكلٍ غير منتظم، ويداه مُترنحة في خلاصٍ بجانبه، دلالة على موته.

- وماذا حدث بعد ذلك يا طارق؟ ماذا فعلت؟

كنتُ أنا من سأل طارق هذا السؤال، وكان طارق يحكي لنا الأمر، ويبدو من تأهبِ مُهاب لا يعرف بالأمر بعد، مثلي تمامًا، هذا لأن طارق كان مُصرًا على حضوري، ليحكي لنا ما لديهِ مرة واحدة.

- بالطبع لم يحدث شيء، خِفت من رؤية أحد غيري لهذا المشهد، ولم يكن لدي القدرة على التنفسِ حتى، ولكن يكفي أنَّهُ بقي لدي طاقة تُساعدني على تجميع أعصابي، تاركًا ورائي جُثة لا أُريد أن يراني أحد بجوارها.

- إذن، ومن يكون ذلك الرجل؟ هل يُمكن أنَّ ذلك أنتحارًا؟

- لا، هذا مُستحيل.

- لِمَا إذن؟

- إن كانت حادث إنتحار لا قتل، فكيف لزوجته أن تكون أمامهُ وحالها من حاله؟

- كيف؟

- كانت مُمدة بجسدها على الأرضِ في بحر دماء هيَّ الأُخرى، ولكن ليست كزوجها، فيبدو لي من رؤيتي أيضًا، أنَّها قُتلت على حينِ غرة، وذلك إما من الخلفِ أو أنَّ أحدهم تهجم عليها بسرعة ونحرها، وفرَّ بعيدًا.

حينها بادرت بالردِّ على طارق والدهشة تعتري أوصالي، قائلًا:

- وماذا حدث بعد ذلك! ماذا فعلت؟

تحرك طارق بحركةٍ خفيفة وهو جالس، ثمَّ بدأ وكعادتهِ بقضم أظافره، قائلًا:

- بالتأكيد لا شيء، لقد هربت أنا الآخر من المكان، بعد أن أغلقت نافذة المنزل بشكل غير مُحكم تمامًا، وقلت في قرارةِ نفسي أنَّهُ يجب أن أخبركم بما حدث، وبعدها أجتمعت بمُهاب، إلى أن أتيت الآن.

- حسنًا، وما الذي علينا فعله؟ هل نبلغ بالأمر في نقطة القرية؟

ولم تأتي فرصة الردِّ من طارق على ما سألت، حيث أنَّنا وجدنا رجلًا، كانت عيناه حادتين كالصقر، لهُ شعر أسود داكن طويل يصل إلى مؤخرة عنقه، كان يرتدي معطف من الصوفِ رمادي، يمتد بهِ إلى نصفه السُفلي، ويحمل حقيبة يد سوداء اللون؛ بخطواتٍ غير منتظمة وسريعة، أقترب قائلًا:

- معذرة، ولكن كنتُ أجلس بالقرب منكم هُنا، وسمعت حديثكم عن جريمة قتل!

وقتها أرتبك طارق بشدة وسارع بالحديثِ بتلعثمٍ قائلًا:

- جريمة.. أي جريمة تقصد يا سيد؟ وما شأنك أنتَ؟

سحب ذلك الرجل بيديهِ مقعد آخر كان بالجوار، ووضعهُ بجواري.. وما أثار عجبي هيَّ طريقة جلوسه على المقعد، حيث قفز بجسده على المقعدِ مُقرفصًا كالكقردة، وليس كما نعهد في طُرق جلوسنا!

- دعوني أعرفكم بنفسي.. أنا «هانيبال سبينوزا» مُحقق خاص، جئت للتحقيق في مقتل السيد "سكينر رافكينافت" وزوجته "لِيا رافكينافت".

وهنا كان التدخل الأول من مُهاب بعد طول صمت، قائلًا:

- محقق خاص، وما هو المحقق الخاص!

وإنه من العجبِ ما فعله ذلك الرجل للمرة الثانية.. حيث بدأ ذلك المدعو "هانيبال سبينوزا" بتحريك أصابعه، تحديدًا السبابة والوسطى، بسرعة هستيرية على الطاولةِ، وعندما سألتهُ مُستفسرًا عن سبب تحريك أصابعه بهذا الشكل.. ردَّ عليَّ قائلًا:

- هذهِ طريقتي في تسجيل المعلومات وتحليلها وحفظها هنا.

أنهى ذلك الرجل حديثهُ وهو يشير بسبابتهِ نحو رأسه..

- تقول أنَّ اسمك هانيبال ومحقق خاص، هذا ليس اسم عربي، من أين أنت.. وكيف تتحدث بلغتنا بهذهِ الطلاقة؟

كان هذا السؤال من مُهاب وهو يطلب من السيد هانيبال سبينوزا الإجابة..

- المحقق الخاص ليس كالرسمي الذي يجعل من نفسهِ كلبًا للدولة، أنا يتم طلبي بشكل خاص، وبتصريح رسمي من الدولة يجعلني قادرًا على مُمارسة المهنة دون وجود أي عواقب، وأما عن موطني، فلا يهم أعتبره العالم أجمع، أتعرف العالم؟

- وقد جئت لتُحقق في مقتلِ عالم الآثار الأجنبي؟

لم يردّ السيد «هانيبال» على آخر ما قالهُ مُهاب له، بل نهض واقفًا من على مقعده، وطلبَ مِنَّا، بلهجةِ آمرٍ، أن نقف معهُ أيضًا، ذلك لكي نذهب سويًا.. إلى مسرح الجريمة!

- لن تتركوا غريب لا يعرف الطريق، أن يذهب بمفرده في هذا الوقت المتأخر من الليلِ أليس كذلك؟ أنا أحتاج إلى مساعدتكم، وبالطبع لن أنسى مالكم مِن نصيبٍ في هذا الآمر.

حدثت نفسي قائلًا: مال؟ إنَّهُ عرض جيد، لا يهم كم من المالِ سنحصل، ولكن سنعرف ونأخذ المال أيضًا؟ لم أتردد لدقائق في القبولِ.. ولكن أعترض مُهاب بشدة ولم يوافق بحجة الثقة.. ولكنه في النهايةِ وافق على مضضٍ، بعدما وافق طارق وطلب موافقته أيضًا.

⁂-⁂-⁂

إزميل في رأس رافكينافت

خرجنا من مقهى العم جميل، بعد أن أصر السيد "هانيبال سبينوزا" أن يُحاسب هو بنفسهِ، فذهب هو ليُحاسب، وتركنا نتحدث في الخارج..

- هذا الرجل غير طبيعي وأشعر أنَّه يكذب علينا، هل كُل رجل ثلاثيني يرتدي معطف يصل ركبتيهِ، ويخبرنا بأنه محقق.. هل علينا أن نصدقه؟

أخرج طارق سيجارته، ومن الجيبِ الخلفي في بنطاله.. أخرج قدَّاحته، ومن ثم نظر إلى مُهاب، وردَّ قائلًا:

- لا مُشكلة ولا ضرر سيحل بنا، إن سمعنا كلامهُ وسرنا معه يا مُهاب، فلدي فضول لأرى كل شيء مرة أخرى وأرى ذلك المُحقق، أرى كيف سيتصرف في الأمر وما الذي سيلاحظه، أتفهمني؟

- نعم.

- إنَّها من أعجب ما رأيت، جريمة لا يتم إبلاغ الشرطة بها ولا يعرفها أحد سوانا نحنُ الثلاثة ورابعنا هذا الرجل الغامض!

كُنت أنا آخر من تحدث، وكان مُهاب يُجهز فآه للرد عليَّ، ولكن قطع كل كلامنا المُحقق، بعد أنا عاد وأخبرنا قائلًا:

- هل نذهب الآن؟

ولم يتأخر الرد عليهِ كثيرًا حيث أجابه طارق وقتها بنعم، وهكذا غادرنا مقهى العم جميل، قاصدين شارع خليج الرمل، أحد شوارع قريتنا، وبها بيت الحاج صالح الذي لا يترك منزلهُ بدون إيجار ولو ساعة واحدة.

لم يأخذ الأمر مِنَّا سوى ربع ساعة فقط من السيرِ، بالإضافة لسرعة ذلك السيد المجنون هانيبال، كُنَّا وبصعوبة نستطيع أن نكون بجوارهِ، وكأنهُ يجري ويُريدنا أن نجري معهُ.

- هذا هو شارع خليج الرمل.. صحيح؟

سأل السيد هانيبال هذا السؤال لنا، ونظرا نحونا مُنتظرًا جوابنا، وعلى كلِ حال قد أومأ لهُ طارق برأسه قاصدًا قول: نعم.

كان الشارع كعادتهِ بسيط، وقصير، وبالطبع كحالِ كل القرية، ضيق ولا يسير بهِ إلا نحنُ، كان ذلك الوقت بالنسبة لأهل القرية، من الأوقاتِ المُحرمة للخروج في الشوارعِ، بعد مرورنا بعدة منازل، وصلنا إلى منزل الحاج صالح، والذي كان متواضعًا من الخارجِ، كأي بيت في القرية، ولكنه بُنيَّ من الطوب الأحمر وليس كباقي البيوت من الطوبِ اللبن، وقفنا أمام الباب وكل شيءٍ رأيناه واضح لنا، بسبب ذلك المصباح الذي يُنير أول البيت، عند مُقدمة الباب.

أخرج السيد «هانيبال سبينوزا» شيء كان كحديدة معدنية رفيعة السُمك.. وقد أدخل تلك الأداة الحديدية بشيء يُشبه أنبوب المحبرة، وعلمتُ بعدها أنَّهُ زيت ليسهل علينا فتح الباب، ويوفر لنا الوقت.

سُرعان ما فُتح الباب على مصرعيهِ، وقبل أن ندخل، دلف السيد هانيبال قبلنا وأعترض طريق دخولنا قائلًا:

- أُحذركم من لمسِ أيِّ شيءٍ هُنا، العواقب ستكون وخيمة، فاحذروا!

سارعتُ بالردِّ عليهِ واعدًا بأننا لن نلمس شيء، وسنشاهد فقط، ولكن أستوقفني سؤال، وسألتهُ قائلًا:

- ولكن عذرًا يا سيد سبينوزا، إن كنت لا تريدنا أن نلمس شيئًا، لِمَا أحضرتنا معك من البدايةِ!

بعد أن دلفنا جميعًا إلى الداخلِ، ورأينا صالة المنزل المتواضعة في الحجمِ، عريضة، وليس بالطول المناسب لعرضها، وكانت تنقسم لنصفين، نصف بهِ وسادات جلوس للضيوف على ما أظن، وتلفاز مُغلق أيضًا، والنصف الثاني بهِ ثلاجة فقط،

وبجوار الثلاجة طُرقة صغيرة تُدخلك إلى المرحاضِ في المنزل، والغرفة الثانية إلى مطبخ المنزل.

بعد أن عاينَ كل هذا، وقف السيد هانيبال سبينوزا قد ردَّ على سؤالي الأخير قائلًا:

- هذا لأن القاتل هو أحدكم، أعتقد أنني أعرفه.

نظرنا جميعًا لبعضنا ثمَّ نظرنا نحو المحقق، غير مُصدقين لِمَا قاله.. أيعقل أنَّهُ يمزح معنا! لم يردَّ أحد عليهِ سوى مُهاب وقتها، بعصبية وغضب شديد تحدث قائلًا:

- الآن فهمت، أنت تريدنا معك، لكي تورطنا في هذا الأمر، أوليس كذلك أيها المحقق؟

- ومن يعلم؟ على كُلِ حال عليك بالصبر والأنتظار وسترى بنفسكَ من هو الفريسة.

- ولكن أتحولنا من مجردِ شهود في قضية، إلى مُشتبهين بلا أي أدلة!

كان هذا ردٍّ عليهِ في ذلك الوقت، ولكنهُ ردَّ على كلامي قائلًا:

- ومن يعلم أيضًا؟ من الممكن.

قال السيد «هانيبال سبينوزا» جُملته تلك، ثمَّ تقدم إلى الأمامِ وإلى الداخل بتعمقٍ أكثر، وكل هذا ولم ندخل الغرفة بعد!

- برأيك يا سيد هانيبال من القاتل؟ ولِمَا قتل؟

كان السيد هانيبال وقتها يسير مُتفقدًا الحائط، وينظر إلى الأعلى على شيء لم أفهمه، ولكنهُ ردَّ قائلًا:

- هل أخبرك بفرضيِّة أنَّهُ أحدكم، أم من منظوري الخاص؟

- من منظورك إن كنتَ تسمح..

بعدما سمع السيد هانيبال إجابة طارق بأن يجيب من منظوره الخاص، شرع في الحديثِ قائلًا:

- القاتل هو شخص توفر لديهِ، المكان المُناسب، والزمان المُناسب، وأيضًا الدافع، فالمُجرم لا يُجرم في حقِ أحد بلا دافع.. في حالة الجمع بين تلك العناصر الثلاثة، المكان والزمان والدافع، يُولد لنا مجرم، والعنصر الحاسم في ذلك الأمر هو العنصر الرابع والأساسي، وهو الضحية.

نظرتُ وقتها نحوهُ بتعجبٍ، كان يسير بهدوء وسط مُستلزمات المنزل ويتفقد كل شيء حوله، دون أن يُكلمنا عن شيء، فقط جاء رده على طارق، الذي ينظر نحوه، وعلم أنَّه لم يفهمه، فتحدث المحقق هانيبال قائلًا:

- ما اسمك؟

- طارق.

- أنظر يا سيد طارق، إن القاعدة الهانيباليّة الأولى تقول كالآتي:

«هناك أربع عوامل لصنع جريمة مُتكاملة الأركان، زمان، مكان، دافع، ضحية، وتلك العوامل إن فُصلت عنها الضحية، ظهر مجرم.. وإن أضفت لها الضحية وجدت المجرم»

هل فهمت يا سيد طارق؟

تحدث طارق وردَّ على المحقق هانيبال قائلًا:

- نعم، وأنت؟ أليس من المُفترضِ وجود مُحقق مع الأربع عناصر؟

- وهنا أذكرك بالقاعدة الهانيبالية السادسة، وهيَّ كالآتي:

«على المُحقق أن يصيد، لكن عليهِ أن يفعل ذلكَ بيد نظيفة تخلوا من العواقب»

- ولكن يصيد ماذا؟

- المُجرمين.. دع صيد المُجرمين لي يا طارق.

أنهى السيد «هانيبال سبينوزا» جُملته السابقة، وهو يبتسم إلى طارق، وقبل أن نصل إلى غرفةِ السيد «سكينر رافكينافت» عالم الأثريات، ونجدهُ، سأل مُهاب السيد هانيبال قائلًا:

- ما هيَّ القواعد الهانيبالية؟

- هيَّ مجموعة من النظريات العمليِّة اِبتكرتها، وأتذكرها دائمًا، ودائمًا تكون على صوابٍ.

وضع السيد هانيبال يدهُ على مقبض الغرفة التي أمامُنا، وبالتأكيد كان يرتدي قفازًا، للمحافظة على البصماتِ.

- والآن سيد طارق هل هذا ما رأيته.. من النافذة، صحيح؟

كان ذلك في وقت متأخرًا من الليلِ، وعندما دلف الجميع إلى الغرفة، بمن فيهم أنا والسيد سبينوزا، وجدنا مشهدًا مُروعًا، أفزعني عندما رأيتهُ، لقد رأينا رجلًا في أربعينياتِ عمره، مُمددًا بجسدهِ إلى الخلفِ على مقعدٍ صُنع من الجلد، غارقًا في الدمِ، وفي رأسهِ مِنْحَت خشبي مُستقرًا في منتصف رأسه، بفآهٍ مفتوح على مصرعيهِ، كان ذلك المنحت هو ما نُطلق عليهِ إزميلًا وهيَّ أداة معدنية مصنوعة عادة من الحديدِ، تستخدم في تكسير الخشب، وما كُنت لأقول مِنْحَت لو ما رأيته في رأسه وكأن نحاتًا هو من فعل هذا.

أمام ذلك الرجل الغارق في الدماءِ، أوراق كثيرة مُبعثرة من حولهِ، منها ما هو بخط اليد، ومنها ما هو رسومات لآثريات نعرفها، صور لتماثيل مصريِّة، وعند الباب والذي كان في واجهةِ مكتب السيد سكينر رافكينافت، رأينا جثة زوجته، لِيا رافكينافت، ولكن قتلها لم يكُن بإزميلًا خشبي كحالِ زوجها، بل كانت بعنقٍ منحورٍ تمامًا، وفي حالةٍ عشوائية.

- حسنًا، والآن هذا جيد، الكثير من الهدايا تنتظرنا.

وقتها كُنت أتمالك نفسي بصعوبةٍ بالغة، كنتُ غير قادرًا على الوقوفِ والمشاهدة، فليس من المعتاد بالنسبةِ لي أن أرى جرائم قتل!

نظرتُ إلى السيد اسبينوزا، بعد أن رأيت هذا المسرح المُمتلئ بالدماءِ في كلِ مكان، على الأرض وعلى المكتب أيضًا، نظرتُ لهُ وتحدثتُ قائلًا:

- أي هدايا تقصد؟ إنَّهم.. إنَّهم قتلى!

كان السيد سبينوزا غير مُباليًّا بي أو بصدمتي، كان فقط شاردًا في تفقدِ كل شيء في الغرفة، حتى السيدة المدعوة «ليا» لم تسلم من تفقدهِ، كحالِ زوجه بعد فحص لهُ هو الآخر.

بطُؤَ تجول السيد سبينوزا حول جثتي رافكينافت، وتوجه نحو نافذة الغرفة، المغلقة بغير إحكام، ومن ثمَّ فتح النافذة المُوصدة على وسعها..

رفع يدهُ مرة أخرى! حرك سبابته وأصبع الوسطى، وبدأ بتحريكهم بشكل هيستيري كما فعل منذُ قليل!

نعرف السبب مُسبقًا من إجابتهِ السابقة، لذلك لم نُعلق، وأنتظرنا أن يتحدث هو، وبالفعل لم يُكذب لنا خبرًا، فتحدث قائلًا:

- ما الدافع وراء فتح السيد رافكينافت النافذة في وقتِ هطول الأمطار؟

- نظرت لهُ ورددتُ عليهِ قائلًا:

- وكيف سأعرف، وهل لهذا معنى؟

لم يُجاوب على سؤالي، بل علمت أنَّهُ لم يسأل بغرض أن يجاوبه أحدهم.

- إن كان موت السيد رافكينافت على المكتب، والسيدة رافكينافت عِند المكتب وبجواره أيضًا، فما العلّة حول وجود تلك البقعة هُنا؟

أنهى السيد سبينوزا جُملتهُ الأخيرة وهو يُشير نحو بقعة دماء وجدها بالقرب من النافذة من الداخل، وبعد تلك المُلاحظة وبعد إجابتي بعدم المعرفة، تحدث السيد سبينوزا مرة أخرى قائلًا:

- الهاتف الخلوي الخاص بالسيد رافكينافت في حالة أستقبال، أي أنَّهُ كان هُناك من يحدثه هاتفيًّا وقت حدوث الجريمة، والأوراق مُبعثرة بشكلٍ غير عشوائي.

- وماذا يعني ذلك سيد هانيبال؟

- المعنى من ذلكَ أنها حالة قتل مُخطط لها سابقًا وليست جريمة بُنيت على الفوضى، والتخطيط الغير مُحكم، وعلى هذا فإن القاتل قد فاجئ الضحية وهجم

عليه على حين غرة، ولم يعطيه مساحة كافية للمُقاومة أو وقتًا كافيًّا للصراخ، دلَّ ذلك أن المُجرم كان هُنا قبل دخول السيد رافكينافت الغرفة.. هل فهمت، سيد مُهاب؟

- عصام.. هذا مُهاب، أنا عصام.

- أعرف.

أقترب مُهاب من جثة السيد «سكينر رافكينافت» وظلَّ يتطلع عليهِ ويتأمل ذلك التهشم في رأسه، وهُنا لم يُركز السيد سبينوزا كثيرًا، حيث قال:

- سيد مُهاب، هل لي بسؤال؟

لم يردَّ عليهِ مُهاب ولكنهُ نظر لهُ بنظرة تُعني الموافقة، فعرض السيد سبينوزا سؤاله قائلًا:

- عندما كان السيد طارق يحكي لك أنتَ والسيد عصام ما حدث هُنا، لم يكُن يعرف أن السيد رافكينافت أجنبيًا، دعك من هذا، هل كان يعلم طارق أن السيد سكينر عالم آثار! فكيف عرفت؟

إن المرعب ما حدث من مُهاب بعدما أنتهى السيد سبينوزا من حديثه.. لقد ذهب بيديهِ مُسرعًا نحو السيد رافكينافت، الغارق في الدماءِ، وغالب الظن أنَّه كان يُريد أن يسحب الإزميل من رأس السيد رافكينافت، ولكن كان السيد هانيبال توقع ذلك، وتوقع حدوثه، فقد أجهز على مُهاب هو الآخر، وفي يسار عُنقه، وضع إبرة مُخدرة ومنومة لهُ، جعل ذلك مُهاب يفقد القدرة على التواصل البصري، وفي خلالِ ثوانٍ معدودة كان مُهاب مُمددًا على الأرض.

نظر لنا السيد اسبينوزا وبنبرةٍ هادئة، أشار نحوي بالحديثِ قائلًا:

- عصام، أسرع بالذهاب إلى نقطة القرية، وأخبرهم بما حدث وعُد معهم إلى هُنا.

لم أستطع الرد على السيد سبينوزرا وقتها، كنتُ في حالةٍ تُشبه، الصدمة، أو عدم قبول عقلي ما أراه..

- الآن يا عصام، أسرع قبل أن يُفيق مرة أخرى، سأنتظرك أنا وطارق.

ولم أنتبه وقتها لطارق الذي كان بجانبي هو الآخر.. لِما لا يتكلم! لِما لا يعترض على ما يرآه؟

- أذهب يا عصام.. أذهب ونفذ ما قالهُ، إن مُهاب بالفعل هو القاتل، لا وقت للتفكير.

بعدما غادرت من المنزلِ، وسمعتُ ما قالهُ طارق، وذهبت أغدو في الشوارعِ كالفهودِ سرعةٍ، بالطبع هذا ما كُنت أشعر بهِ، إلى أن وصلت إلى نقطة القرية، ولم تكن ببعيدة..

نعم، كانت بالفعلِ قريبة من مقهى العم جميل، والذي حاول أن يوقفني صارخًا:

- أستاذ عصام.. أستاذ عصام، رسالة من أحدهم..

لم أنتبه لعم جميل أو ما قالهُ، لم تكن حالتي تسمح بالوقوف وقراءة الرسالة، وهناك من ينتظرني مع جثث!

وصلت إلى نقطة القرية، والتي وكالعادة، لا حراسة لها سوى الغفير الذي يجلس أمامها ليلًا نهارًا، وعندما وصلتُ إلى النقطة، ووقفت أمامهُ، أخبرته بأنني أريد أن أقابل الظابط المسؤول هُنا.

- أتقصد الملازم سامح؟

- لا يهم، أي شخصٍ يأتي معي فقط إلى شارع خليج الرمل، لا وقت لطرح السئلة.

وبالفعل دلف الغفير إلى الداخل، ولم يُطل، فبعد أقل من خمسِ دقائق، وجدته يتقدم وبجواره، رجلًا طويل القامة، عريض الكتف، كثيف الشارب، ذلك ما جعلني أقول في نفسي.

- حسنًا هذا مُطمئن، بالتأكيد هو المسؤول هنا.

- مرحبًا، ما الآمر؟ أراك لا تستطيع الجلوس لتلتقط أنفاسك!

- جريمة.. جريمة قتل في شارع خليج الرمل، منزل الحاج صالح.. هُناك جثتين لزوجين، والزوج.. أعتقد أنَّهُ عالم أجنبي.

- عالم أجنبي! هُنا في جربوعة!

- بحق الله، لا وقت لهذا، نعم أجنبي هُنا، والقاتل أيضًا هُناك يُقيدهُ السيد هانيبال سبينوزا، برفقة صديقي طارق.

شعرتُ وكأن ذلك المُلازم يُطالعني بنظرةٍ، وكأنني معتوهٍ أو مخبول مارًا من هُنا في هذهِ الساعة.. ولكنه أخبرني قائلًا:

- حسنًا، سنأتي معك وسنرى ما أخبرتني بهِ.

أحضر المُلازم سامح عربة النقطة الخاصة برفقة أربع رجال آخرين، وغادرنا مُنطلقين نحو شارع خليج الرمل، حيث مُهاب وطارق والسيد هانيبال.

--*

الجواب الأخير

حالي من حالكم، ظننتُ أن كُل شيء أنتهى هنا، ولكن لا، ما كُل ما نبتغيه نحصُله، عِند دخولنا إلى بيتِ العم صالح، كان هناك شيء عجيب آخر وقتها، بالطبع شيء غير جثة هذا السيد وزوجته، وغير جسد مُهاب المطروح أرضًا، هذا الشيء هو أننا لم نجد طارق، ولم نجد علب الهدايا التي كانت تملئ الغرفة هُنا، وأخيرًا لم أجد السيد هانيبال سبينوزا أيضًا..

أصبحت الغرفة بعد أن كانت بها علب هدايا، وجثتين، وأنا، وطارق، ومُهاب، أصبحت بجثتين ومُهاب فقط!

بالطبع، كان رد فعل ذلك المُلازم ومُساعديهِ أمرًا طبيعيًا، فور أن وجدوا هذا المسرح المثير، نهضوا عليَّ صارخين بأن لا أتحرك، ولم أُمنح لحظة واحدة لأوضح ما أنا عليهِ وقتها.

مرَّ ذلك اليوم وقد عُدت إلى نقطة التفتيش نفسها، مُجرمًا لا مظلومًا، لم أُرحل ولم أخرج عن القرية، فقط أختفت الجثث من المسرحِ وأعتقد أن هذا أمرًا طبيعي فقد بلغ الأمر إلى الجهات العُليا في المحافظة.

قضيت الليلِ كُله وأنا أجلس في زنزانةٍ، بداخلها أُقسم أنني كُنت أشعر بالمطر يستقر برأسي، وجسدي غير قادرًا على المقاومة بأي شكل، كل ما قدرت على فعله، هو أنني نمتُ في ذلك المكان، إلى صبوحِ اليوم التالي..

دلف إلى الزنزانةِ المُلازم سامح، وهو يبتسم لي بطريقة.. جعلتني أشعر أنني بحاجة لإزميلٍ آخر، أيقظني المُلازم في صبوحِ اليوم، ومن ثمَّ أعدلني من وضعي وفكَ قيدي، ليخبرني بعد ذلك بأنني غير مُتهم في هذهِ القضية وأنهم أمسكوا بالمُجرمين، وهُناك من قدم أدلة لبرائتي.

- أنت الآن في أمانٍ سيد عصام، لا داعٍ للقلق، وأتمنى أن تغفر لنا عن سوء فهمنا للموقف، بعد كل شيء، لقد رأيت بعينك وقتها المشهد!

- لا.. لا عليكم، إنَّهُ بعد كل شيء واجبكم، أنتَ لم تُقصر في شيءٍ، ولكن هل لي بسؤال؟

- بالطبع، تفضل!

- أظنني سمعتُك تهم بالقولِ قائلًا: مُجرمين، كان مُهاب فقط، وهو مجرم واحد!

لم يردَّ عليَّ المُلازم سامح وقتها، كان بالفعل سيُجيبني ولكن، غادر مُسرعًا عِندما علم أن أحد من أصحاب السُلطة العُليا بالخارج، ينتظره، فكل ما قاله: معذرة، أمرًا طارئ، سنتحدث فيما بعد..

بالطبع لم أتحمل أن أنتظر ولو دقيقة واحدة في ذلك المكان.. تحدثتُ مع الغفير الذي جاء مُناديًّا للمُلازم.. وأخبرتهُ أنني أشعر بالتعبِ وأريد الذهاب إلى البيتِ فورًا.

ولم يُكذب لي خبرًا، فكنت في خلال نصف ساعة، أقف في الخارج، أمام طريق النقطة، وكنتُ في طريقي إلى عمِ جميل لأبحث عن طعامٍ أولًا، وأشرب الشاي ثانيًّا.. وبجفونٍ غلبها الإرهاق والتعب، ذهبت لهُ قائلًا:

- صباح الخير يا عم جميل، هل رأيت طارق اليوم؟

- صباح النور يا بُني، ناديت عليك كثيرًا ليلة أمس.. فما كان بك إلا عدم الردِّ على ندائي لكَ!

- أقسم أنني لا أتذكر شيء، آه لقد كان يومًا مُتعبًا يا عم جميل.. لا أشعر بعظمةٍ واحدة في جسدي، ولكن! ما الآمر لِمَ كُنت تنادي عليَّ أمس؟

- يا رجل، إنَّها رسالة صاحبكم، قد تركها معي وهو يُحاسب وأخبرني أن أعطيها لك، عِند أول رؤيةٍ لي بك.

- صاحبنا؟

- نعم، حاسبني أمس يا بُني، كان يرتدي معطف صوف رمادي!

- السيد هانيبال سبينوزا!

نظر لي عم جميل، بغير فهم لِما أقوله، فكيف سيعرف هذا الأسم وهو لا يُغادر حدود القرية، إلا في الأعيادِ..

- لم أراه معكما سابقًا يا بُني، ولكن ها هي الرسالة، خُذها وستعرف بنفسك..

تناولت الرسالة، من يدِّ عم جميل، ووجدتها في ظرفٍ أسود اللون، وبها ختم بالأحمر.. إنَّهُ توقيع من السيد هانيبال، ويبدو أن ما بداخل ذلك الظرف رسالة، فتحت الظرف، وأخرجت الرسالة، وشرعت في قرأتها، وكانت كالآتي:

«في البداية أخبرك بأن القاتل ليس مهاب، ليس هو الوحيد أقصد، كان لديهِ شريك وهو طارق، صديقك الثاني، ولكي لا أُطيل عليكَ فالأمر واضح من البداية، وهنا وقبل أن أنطلق معكم وأذهب لبيت السيد رافكينافت، أريد أخبارك، أنني ذهبت إليهِ قبلكم، وعرفت كُل شيء..

اِتفق طارق مع مُهاب على نهب عالم الأثار سكينر رافكينافت، وأخذ ما حصل عليهِ من آثار، وإن كنت لا تعرف السبب، ففي علم الجريمةِ يكون الدافع وراء القتل والإجرام هو الفقر، وأيضًا يُمكن أن يكون الدافع هو الطمع وليس الفقر، وكان هذا هو أساس اِتفاق رفاقك، فالأول لقلة ماله قتل، والثاني لكثرة ماله قتل.

بعد أن عاد طارق من ورشة نجارته، وقد أحضر معهُ إزميلًا خشبي لينفذ بها فعلته، أتصل على مُهاب وتقابلوا، وبالفعل حددوا المكان والزمان ووجدوا الضحية، تسلل طارق إلى الداخل، بينما بقيّ مُهاب في الخارج للمراقبة، وقد أستطاع طارق الوصول والأختباء في غرفة مكتب السيد سكينر، الذي كان في المرحاض وقتها، وعندما عاد السيد سكينر إلى مكتبهِ، رفع سماعة هاتفهِ ليُحدث مُنظمته التي أرسلته ليُنقب، منظمة سيكاري؛ لم تكتمل محادثة السيد سكينر الهاتفيّة، فقد لاحظ وجود خيالٍ لأحدهم في الغرفة، وعندما كان على وشك النهوض واستكشاف الأمر، أجهز عليهِ طارق بيدهِ اليسرى، ووضع الإزميل في منتصف رأس السيد سكينر، ولم يستطع السيد سكينر، أن يفعل شيء، وعندما لاحظت السيدة «لِيا» أن بعض الأمور الغير طبيعية في الغرفة، أتت لترى ما يحدث، وقد علم طارق بذلك، فأعد نفسهُ للإجهاز عليها بقطعة من الزجاجِ، وفي جرحٍ بدأ من يمين عُنقها، وهذا يدل بنسبة جيدة على أن القاتل أعسر اليد، وأيضًا عندما كان طارق، يحكي لكم، كيف عرف بأنها ذُبحت؟ هذا وعندما دلفنا إلى الغرفة وجدنا جسدها على الظهر مُمدًا، فكيف رأي رقبتها، وكيف رأى ذلك من النافذة!

لاحظ مُهاب أن هُناك أمرًا لم يكن في الحُسبانِ حدوثهِ، فنهض من أمام المنزل، وذهب تجاهِ النافذة وقتها، وصرخ على طارق مُستفسرًا لما يحدث، فنهض طارق، وأقترب من النافذة وأستطاع فتحها وحدَّث مُهاب بالأمر، ومن سوء حظه أن بقعة دماء من جثةِ السيدة لِيا، علقت بحذاءِه، وهذا دليلًا آخر على أنَّ الشخص الذي بالداخل هو طارق.

والآن كيف لمُهاب كما قلتُ لهُ سابقًا، أن يرى أن المجني عليهِ كان عالم وأجنبي؟ بالتأكيد كل هذهِ الأمور أدلة كافية على حل القضية قبل بدءها من الأساسِ.

كان مُهاب طوال الوقت، يبحث عن نقطة ضعفي، وكيف يتخلص مني، ولكن نسيت أن أخبره أن النظرية الهانيبالية الثانية تقول: المُجرم يبحث عن نقاط ضعف المحقق، والمحقق يبحث عن نقاط قوة المُجرم، وكِلانا يجب أن لا يجد شيء.

بالنسبة إلى علبِ الهدايا، فهيَّ أصل كُل اللغز وهيَّ ما تم تأجيري لأجلهِ، بداخل تلك الهدايا كانت، الآثار والتماثيل التي أخرجها عالم الآثار الأجنبي «سكينر رافكينافت» وكان يستعد إلى السفر في اليوم التالي ليُنهي مهتمه ويُسلمها إلى مُنظمة السيكاري، ولكن قتله لم يكن في الحسبانِ بالنسبة لهُ، وقد مات على يد صديقك، الذي لم ينجح وقتها، في إيجاد مكان الآثار، من الذي سيخطر على باله، أن الآثار بداخل علب الهدايا؟ لا أحد أو النسبة الغالبيِّة لن يخطر على بالهم مثل تلك الأشياء.

وأخيرًا أقول لكَ: أن أصدقاءك كان لديهم الحرية لأختيار كيفية التصرف، ولكن لم يعرفوا أن العبرة تكون بما بعد التصرف.

أكتبُ لك كل هذا قبل أن نذهب سويًا للمرة الثانية بالنسبة لي أنا ورفاقك، وأعلم أنَّها المرة الأولى لك، وأعتذر بشدة عن كل شيء سيحدث، ولذلك أخبرتك بكل شيء، حدث وسيحدث الآن».

عندما أنتهيت من قرأتي لتلك الرسالة، وقفت والورقة في يدي، لا أستطيع التفكير في شيء، متى وكيف.. ما الذي يحدث؟

هل يُعقل هذا المحقق، كان يعرف كل شيء من البداية؟ فلِما إذن أتى هُنا.. بالتأكيد ليمسك بالمجرم الذي يقول بأنهم رفاقي.

لم أعد أفهم شيء، الآن وهُنا، أريد أن أرى ذلك الماكر مرة أخرى.. أريد أن أعرف كيف تحكم بنا جميعًا من وقت مغادرتنا من المقهى، إلى وقت ذهابي إلى النقطة!

أنا الآن على يقين وعلم بمعنى لقب المُحقق الخاص، نظرات حادة كالصقر، شخصية ماكرة، مرونة في الأفكار، وأيضًا متفوق استراتيجيًا.. بالطبع هو كذلك، رغم

علمهُ بأنني لست القاتل، إلا أنَّهُ طلب مني الذهاب إلى النقطة، لينفرد بطارق، وبعدها يأخذ ما أتى لأجله، وفي نفس الوقت سيبلغ عنهما! إنَّهُ ليس مُجرد مُحقق.

الآن فهمت معنى نظرياتهُ تلك، نظرية الصياد، نظرية القوة والضعف، نظرية الدوافع، نعم كل تلك ليست مُجرد نظريات يأتي بها من عقلهِ فقط، والآن قد حُلت القضية وقد رحل ما بقي لي من أصدقاءٍ، وسأعود إليك يا جدي مُجددًا، ولكن هذه المرة، دون أن تقول، ثلاثي الحُثالة مرة أخرى، فهناك أحمقًا وحيدًا بقيَّ في جربوعة.

إلى اللقاء في اللغز القادم . .